**المحاضرة الرابعة**

**نظرية الأجناس الأدبية في النقد الغربي**

1**.تمهيد.**

**2. مسألة المقاربات في النقد الأدبي الغربي.**

**أ/ المقاربة النمطية.**

**ب/ المقاربة التاريخية.**

**ت/ المقاربة التفاعلية أو الحركية.**

**ث/ المقاربة النقدية من وجهة نظر الإبداع.**

**ج/ مقاربة من وجهة نظر التلقي.**

**ح/ المقاربة التفسيرية.**

**تمهيد:**

استندت الدراسات الأدبية الغربية إلى منهج محدد، فكانت كفيلة بإعطاء صورة موجزة وشبه شاملة عند حضور قضية التجنيس في النقد الغربي، تبينت لنا ست مقاربات أو أبحاث تعتبر من أهم ما كتب في هذا المسألة- الأجناس الأدبية- سواء من حيث عقمها أو شموليتها أو إحاطتها أو اختصارها ودقتها.

**فما هي هذه المقاربات؟**

**1-مسألة الأجناس الأدبية في النقد الأدبي الغربي:**

**أ/ المقاربة النمطية:**

**المقاربة:** هي أساس نظري يتكون من مجموعة من المبادئ يتأسس عليها البرنامج أو المنهاج، ومنه فالمقاربة هي الطريقة التي يتناول بها الدارس أو الباحث الموضوع أو هي الطريقة التي يتقدم بها من الشيء ويمثلها الناقد الألماني "كار فييتور (**Karl Vietor)"** فهو أول من أدخ قضية الأجناس الأدبية إلى الأدب الألماني، وجنس الشعر الغنائي على وجه الخصوص.

إذ يعتقد أن هناك خلطا كبيرا في استعمال هذا المصطلح، إذ يراد به الأجناس الثلاثة الكبرى **(الملهاة، المأساة، والشعر الغنائي**)، وفي الوقت ذاته يقصد به الآثار الأدبية المخصوصة مثل الأقصوصة والملهاة والقصيدة الغنائية، فهذه الأجناس تعبر عن المواقف الجوهرية لكائن البشري اتجاه الواقع بغية ضمان السيطرة عليه.

وتفسر هذه المواقف البشرية بالاعتماد على موقف (**كانط**) من الأسس الثلاثة للروح فتستند:

المأساة ملكة الرغبة.

الملحمة ملكة التعرف.

الشعر الغنائي ملكة الإحساس.

وقد تتناغم هذه الملكات وتتواجد وتتداخل وتتوحد كما في الحياة ليحدد لنا فيتور عناصر الأجناس الأدبية الشكلية الخارجية أو الداخلية معتمدا على المأساة، بما أنها جنس قائم على الشعر، وتمتلك خصوصية شعرية، وتضطر من جهة أخرى إلى التميز عن المسرحيات الأخرى بوصفها مأساة ليبين أن قيمتها المميزة لا يمكن أن تتمثل إلا في شكل لم تعبر عنه الأدوات اللغوية، أي في شكل داخلي **(البنية)** ليتوافق مع الشكل النغمي فيستجيب البناء الخارجي المكون من كل تناغم منسجم مع المضمون.

استنادا إلى ما سبق يقر فيتور أن تكون الجنس يعتمد على ثلاثة عناصر أساسية هي:

1.**المحتوى النوعي**: تحديد نوع الجنس الأدبي (**شعرا، نثرا).**

2. **الشكل الداخلي**: ترابط وتناسق الأدوات اللغوية لتتوافق مع الشكل التناغمي **(المضمون).**

3. **الشكل الخارجي**: السمات المتميزة للعصر الذي ظهرت فيه.

إن اعتماده على هذه المقاربة في دراسته للأجناس الأدبية، فتحت أمامه قضية تحديد تاريخ هذه الأجناس، إذ اعتبرها معضلة كبرى في تاريخ الأجناس الأدبية، فالكشف عن البنية الشكلية الداخلية والخارجية، تظهر التحولات التي شهدها الجنس عبر الزمن والتغيرات الطارئة عليه، كما تبرز لنا الآثار الفردية التي تتباين فيما بينها.

**ب/ المقاربة التاريخية:**

يمثلها "**هانت روبرت ياوس**" المختص في دراسة أدب العصور الوسطى، حين اعتبر أن تكوين نظرية الأجناس الأدبية، اعتمد على أجناس أدبية "بدائية" مثل الحكايات الأسطورية أو الشعرية، من أجل استخراج أبسط البنى والوظائف والمقاطع المكونة لمختلف الأجناس، والمميزة لبعضها عن الآخر.

استندت دراسة "**ياوس**" إلى **"كورتشه**" القائل "إن الأثر الأبدي ينتمي بالضرورة إى جنس ويفترض تبعا لذلك أفق انتظار يوجه فهم القارئ".

وهذا يعني أن كل عمل فني حتى مرتبطا وإن كان مجرد تعبير عن الفرد يبقى مكيفا أو بالغيرية، أي بالعلاقة بالآخر بوصفه ذاتا مدركة.

كما درس ياوس الأجناس من وجهة نظر آنية أي من وجهة نظر زمنية، وفي هذا السياق يلاحظ "ياوس" وجود حالة قصوى تتمثل في وجود نص يكون نموذجا فريدا كجنس من الأجناس، وفي هذه الحالة يصعب تحديد تعريف للجنس من دون اللجوء إلى تاريخ الأجناس وتحديد دراسة زمنية تسمح بملاحظة العلاقة بين العناصر الثابتة والعناصر المتغيرة، خصوصا وأن الثابتة لا تظهر إلا ضمن السيرورة التاريخية، أن تتجلى تاريخية جنس أدبي عند ياوس، في عملية خلق البنية وتنويعاتها واتساعها، والتعديلات التي ضمنها بالمقابل يحدث هذا التطور أن ينهاك فيه جنس أو يقضي عليه من قبل جنس جديد، ولتفادي هذه المشكلة في الدراسة لجأ "ياوس" إلى التوافق بين النظرية والتطبيق أثناء البحث التاريخي لجنس ما، لبناء نصف تاريخي لها، فهي متجذرة في الحياة ولها وظيفة اجتماعية، ولذلك فلا مناص من أن يحدد التطور الأدبي هو أيضا بوظيفة في التاريخ ومدى تحرر المجتمع.

ولعل ذلك هو ما جعل أدب العصر الوسيط نموذجا فريدا بسبب كون المسافة الزمنية التي تفصله عنا لم تترك منه سوى صورة مندثرة حياة مختلفة تبعث فيها الحيرة والتساؤل.

**ج/ المقاربة التفاعلية أو الحركية** **:**

يمثل هذا الاتجاه "**روبرت شولس**" في بحثه المتعلق بصور التخيل ينطلق هذا الأخير من ضرورة وجود الثنائية للتخيل الأدبي الذي يقتضي اعتبار الخيال جنس على حده له خصائصه الذاتية وإمكاناته الخاصة مستندا إلى منهجين منفصلين، هما المنهج الاستنباطي والمنهج الاستقرائي.

فالأول يهتم باستنباط القدرات الفردية في الأعمال الأدبية، أما الثاني فيهتم بقراءة هذه الأعمال من الناحية الأدبية والتاريخية.

وبذلك يتسنى له تغيير ما سبق وما سيلحق من التقلبات بين تلك الصيغ المختلفة.

**د/ المقاربة النقدية من وجهة نظر الإبداع:**

صاحب هذه الدراسة "**جيرار جينيت**" وتتمثل نقطة انطلاق جينيت إلى قضية الوهم اللارجعي أو ما يسمى بالخطأ الشائع الذي يتلخص في أصو الثلاثية الشهيرة **(الشكل الغنائي، الشكل الملحمي، الشكل الدرامي)** إلى أرسطو، بل إلى أفلاطون وهو وهم عميق الجذور في وعي النقاد الغربيين، إلا أن حقيقة الأمر تعود إلى الرومانية فتيحة هذا الخط اكتسبت هذه النظرية طابع الخلود.

ليبين جنيت عبر مسيرته الدراسية لبعض النقاد الغربيين الذين وقعوا في هذا الوهم، أمثال **"دويليك**" و"**فراي**" و**"فيبل وجون**" وحتى "**شواس**" و"**هلين سكسون**" و"**باختين وتودوروف**" وخوفا من الوقوع في نفس الخطأ، عاد جينيت إلى النبع عن طريق الاستبدال والمادة والتأويل أي إلى نظام الأجناس الذي اقترحه أفلاطون ثم استغله أرسطو حول الأشكال الثلاثة (**الملحمة، المأساة، الملهاة**)، الذي طور نظرية المحاكاة لتصبح الشكل عبر الشعر الغنائي الذي أهمله أفلاطون وفي هذا الصدد يقول "فأفلاطون قد أهمل عن قصد الشعر التمثيلي، أي الذي نعتبره نحن الشعر الغنائي الحقيقي (...) فلا وود للقصيدة الشعرية إلا إذا كانت تمثيلية".

فقد استمر هذا التصور اليوناني طيلة العصر الوسيط وحتى العصر الحديث عند تصنيف أرسطو كمادة للدراسة والتحليل تعرضت إلى بعض التشويش، وافضى في النهاية إلى الثلاثية **(الشعر الغنائي، الشعر الملحمي، الشعر الدرامي).**

واعتبر جينيت أن نسبتها إلى أرسطو خطأ فادح ارتكبه نقاد الغرب القدامى حين تعرضوا إلى الأجناس الأدبية.

ولعل ذلك راجع إلى التباس وخلط وسوء فهم عندهم، فالتقسيم الرومنسي هو من أوجد **(الشعر الغنائي والمحمي والدرامي**) والواقع أن الأجناس مقولات أدبية أو بالأصح جمالية صرفة بينما الضيع مقولات نابعة من اللسانيات.

**ه/ مقاربة من وجهة نظر التلقي:**

رائد هذا الاتجاه الناقد "**ووايف ديتر ستمبل (W. D. Stempel)"** من خلال تطرقه إلى مسألة تلقي الأجناس وتعلقها باللسانيات البنيوية، فقد اتخذت اللسانيات البنيوية اللغة- بوصفها نظاما- موضوعا قصرت عيها تحليلها (**انتظام/ نحو)** "فإذا كانت اللغة- في المستوى اللساني صرفه- هي التي تجعل الكلام مفهوما، فإن النص يؤسس انطلاقا من الجنس وشروطه".

من خلال هذا الاستعراض يلاحظ الباحث، أن فكرة البنية تتطابق مع مقام الجنس، وهذا ما يفسر تركي **"ستمبل**" على ثنائية "**دي سوسير**" اللغة/ الكلام.

وبهذه النظرة يضع الجنس في مستوى اللغة والنص في مستوى الكلام، أي أن تلقي النص مسار أجناس بالأساس وذك من خلا اتجاهين:

\*الشروط التي ينتسب إليها وتتحكم في تكوينه واكتماله.

\* النموذج الذي يبلغه **(النتيجة).**

وبذلك يصبح المتلقي في نهاية المطاف هو تجربة الإنتاج وتشكيل جنس جديد، كل هذه الأشكال التي اعتمد عليها الباحث كانت نتيجة تأثره بمدرسة براغ التي تعتبر "الجنس الأدبي التاريخي مجموعة من المعايير، تخبر القارئ عن الطريقة التي ينبغي أن يفهم بواسطتها نصه".

وكذا نظرية "**شولس**" العامل بمبدأ "بلورة نظرية قادرة على إبراز تنظيم الأجناس الأدبية"، مقتصرا في ذك على نقطة انطلاقه والتي ترتكز على العلاقة الموجودة بين التخييل الواقع في إدراك الأثر الذي يحمل معنى والذي يدفع القارئ إلى تتبعه وإدراكه من خلال صيغة (**نظرية المظهر الصيغي).**

**و/ المقاربة التفسيرية:**

ورائدها "**جان ماري شافر (J. M. Schaeffer)"** الذي قصر بحثه في قضية الأجناس الأدبية على زاوية التفسير، إذ أنه اعتبرها من أصعب المجالات الأدبية التباسا فطرح مجموعة من التساؤلات مثل:

ما الأجناس الأدبية؟ ما العلاقة التي تربط النص بالجنس؟ ما العلاقة التي تربط النص بجنسه؟

حول المسألة إلى قضية فلسفية، لتصبغ بالطابع الإنطولوجي متعلقة بنظرية الكائن، والخروج من هذا المأزق النظري أهمل "شافر" الطابع الانطولوجيا القائم بين النص والجنس لتأخذ القضية بعدا إنسانيا بوصفهما نظامين من العلامات فتصبح بذلك عاملا منتجا لتكوين النصية، فيصبح بهذا المعنى معيارا للقراءة والتفسير القائم- أفق الانتظار- وكذا الصيغة والمضمون والشكل، لتبقى كل النصوص مهما كانت عظيمة قسم من الأجناسية.

**خلاصة:**

إن هذا الاختلاف والتنوع في المقاربات والرؤى تؤكد مسألة الأجناس الأدبية إلى حد كبير، كما تؤكد الأهمية الفائقة التي أولاها النقد الغربي على اختلاف اتجاهاته والحضور لتلك المسألة في الباحث النقدية وازداد الاهتمام بها في العصر الحديث.